# مُهِمَّاتٌ تربويَّة

رمضان ١٤٤٦ من الهجرة النبوية

تقديم

أنا هيد بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

## تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

## اللقاء السابع عشر يوم الاثنين 17 رمضان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعل القرآن الكريم ربيعًا لقلوبنا، ونورًا لصدورنا وجلاءً لأحزاننا وهمومنا، اللهم آمين.

لا زلنا -بفضل الله- نجتمع على كتاب الله، ننزع منه ما نستطيع مما يسبب لنا العافية، فإن العافية أعظم ما يسأل الإنسان ربه وخير ما يحصله في دنياه ويحصله لأخراه. العافية منّة من رب العالمين يمنّ الله -عزَّ وجلَّ- بها على من يشاء من عباده، والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قد أخبر أنه لم يعط أحد خير من العافية.

نسأل الله أن يرزقنا العافية، وأن يرزقنا الأسباب الموصلة للعافية. وعلى هذا بُنيت هذه اللقاءات: على أن نأخذ من كتاب الله المهمات التربوية التي إذا بُنيت في النفس الإنسانية؛ سبّبت لها العافية في دينها ومن ثم في دنياها، في أمْر دينها وفي أمْر دنياها، في حياتها وفي أخراها.

واليوم سنقف عند سورة عظيمة من سور القرآن، والقرآن سوره كلها عظيمة.

تختص هذه السورة بشأن عظيم يسبب الإيمان ويكون دليلًا على رحمة الرحمن -سبحانه وتعالى- سورتنا اليوم **سورة الأنبياء** التي من اسمها يظهر مقصدها، وهي سورة تأتي بعد سورة طه التي عرفنا فيها أن لله الأسماء الحسنى، وعرفنا أنه -سبحانه وتعالى- يعاملنا بهذه الأسماء.

فمن كماله -عزَّ وجلَّ- إرساله للرسل، وهنا نضع المهمة باختصار ثم نبيّن شيئًا من التفاصيل.

أما **مهمتنا التربوية** اليوم هي

**أننا نلزم أنفسنا، ونلزم من تحت أيدينا بالسير في طريق من أنعم الله عليهم.**

ها نحن نردد في الفاتحة، طالبين الهداية للصراط المستقيم، راجين أن ينعم الله -عزَّ وجلَّ- علينا كما أنعم على من قبلنا؛ فدلهم على الصراط المستقيم وثبّتهم عليه. فنقول لرب العالمين: "اهدنا نحن إلى الصراط المستقيم"، هذا الصراط الذي نعتقد أنه يسير عليه الذين أنعمت عليهم، من

آثار نعمائه ورحمته -سبحانه وتعالى- أن سار الخلق في هذا الصراط، وأعظم من أنعم الله -عزَّ وجلَّ- عليهم الأنبياء.

وهذا ركن عظيم من أركان الإيمان: أن تؤمن أن من آثار رحمة الله وحكمته -سبحانه وتعالى- أن لم يجعلنا فقط باقين على آثار الفطرة التي في داخلنا، وإنما أرسل لنا رسلًا مذكّرين، وظيفتهم: يذكروننا بما هو ثابت في نفوسنا، ويعلموننا كيف نصل إلى مرضاة ربنا -سبحانه وتعالى- وكيف نربح ونفلح في دنيانا وأخرانا. ما أحكم رب العالمين، ما أرحم رب العالمين! رحم الخلق بأن ما تركهم إلى أنفسهم، وإنما أرسل لهم رسلًا وأنزل لهم كُتبًا، وشرَّع لهم شرائعًا.

وهنا نلحظ شأنًا عظيمًا وهو: كيف أن إرسال الرسول مناسب غاية المناسبة للفطرة السوية. المهمة التربوية هي: أن نحمل أنفسنا على الاعتناء بهؤلاء الذين أنعم الله عليهم، ونطلب من ربنا أن يجعلنا سائرين على طريقهم، ونفعل ما به نكون صادقين في هذا الطلب. تسأل الله أن تكون من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن

أولئك رفيقًا، تريد أن تكون مع هؤلاء؛ افعل ما يدل على صدق طلبك، هذه هي المهمة لنا ولأبنائنا.

ندخل في تفاصيل هذا الموضوع على ما نستطيع في هذه العجالة. فأما أول الأمر: لا بد أن نعرف أن إرسال الرسل من آثار رحمة الله -كما تبين لنا- ووجه ذلك: أن الفطرة السوية خُلقت ترغب في التأسّي والاقتداء، تريد أسوة وقدوة وتحب الكمال، والكمال المطلق لله، لكن الله -عزَّ وجلَّ- يرسل رسلًا يكونون قدوات وهم بأنفسهم كاملين الكمال اللائق بالبشر.

والفطرة السوية هذه حالها: تحب الكمال، تعظّم الكاملين، ترغب أن يكون في حياتها أحد كامل يمتلئ فؤادها به. تصور هذه الحاجة الشديدة التي في النفس، وتصورها بتشبيه يبسط المسألة أن الإنسان كما يحتاج في بدنه إلى تقوية، مما يسمونه فيتامينات، إلى آخره، من أجل أن يقوى بدنه ويتحمل القيام بالمهام، كذلك هذه النفس (الروح) تحتاج ما يقويها للسير، وتحب في هذا السير أن تسمع سِيَر من سار قبلها،

وتحب أن تكون سِيَرهم كاملة، تدل على كمالهم، يشابهونا في التأثيرات والانفعالات، ويفترقون عنا في الكمالات.

يمكن أن يأتي ما يغضب النبي -صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا- لكن الكمال يجعله يتصرف تصرفًا مختلفًا، فترى آثار الحلم والأناة. ويمكن أن يأتي ما يخيف النبي -صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا- فترى آثار التفويض والاعتماد والرضا بما قسم الله.

وهكذا **اشتراك في الانفعالات والمؤثرات، لكن اختلاف في ردّ الفعل، في التصرف تجاه هذه المؤثرات**، والنفس تحب هذا الأمر: تحب أن تجد كُمَّل تستطيع أن تقتدي بهم، فما أرحم الله بنا، وما أطيب ذكر هؤلاء -صلوات الله وسلامه عليهم-!

من هنا نرى كيف أن رب العالمين قد منّ علينا بإرسال الرسل، سورة الأنبياء فيها هذا الذي نقول، وأكثر مما نقول.

تناولت السورة قصص أنبياء الله -تعالى- ودورهم في تذكرة البشرية، هؤلاء الأنبياء -وهم أفضل خلق الله، وهم الذين قادوا الأرض إلى الخير والسعادة- المطلوب أن تسمع

عنهم وتعرفهم، إلى درجة أننا نجد -وهذا من الأعاجيب في الحقيقة- في القرآن أسماء السور تحمل أسماء الأنبياء، فتسمع يونس وهود ويوسف وإبراهيم، وهنا تسمع سورة الأنبياء، فسبحان الله! كم لله حكمة في ذلك.

وسورة الأنبياء تسير على نمط واحد تدلنا كيف كان خطاب النبي ودعوته لقومه، وكيف كانت عبادته وتَبَتّله لربه، من أجل ماذا. هذا ركن من أركان الإيمان، لكن المقصود أن يبقى في فضائك وتفكيرك، كيف تخاطب الناس، كيف تربي الأبناء، كيف ترشدهم للصلاح، وكلٌّ على حسب موقعه، وعليك وأنت مصلح ألّا تنسَ أن تكون صالحًا. وكيف أن الإصلاح لا يمكن أن يكون إلا مع قوة صلاح، مع قوة عبادة وتبتّل.

وفي نهاية الأمر تقرأ سورة الأنبياء فتعرف أنهم كلهم رسل من عند الله. تعرف أن هؤلاء الأنبياء دليل عظيم على رحمة الله، دليل عظيم على وحدانية الله، وإلا انظر مثلًا

حين نقرأ في سورة هود، فنجد أن هود الضعيف لأنه وحيد يقف أمام قومه الذين وُصِفوا بالشدة، قومه هؤلاء قوم

عاد الأقوياء، يقف هو وحده ويطلب منهم أن يكيدوه ولا ينتظروا، فتأتي آية عظيمة من آيات وحدانية الله، دالة على أنه الإله -سبحانه وتعالى-

تسمع عن نوح -عليه السلام- وكيف عُلِّم كيف يصنع الفلك، ويكون له النجاة في أمواج كالجبال، وهي سفينة صغيرة، الله أعلم كم كانت مساحتها، والله أعلم كم كان حالها أمام هذه الأمواج التي مثل الجبال. فيدلّك على أن الله هو الذي يحفظ عباده وهو الذي يعلمهم.

ثم تأتي سورة يوسف بعد هود، وتأتي فيها آية من أعجب الآيات على وحدانية الآيات وعلى علمه. الرؤى والأحلام من أعجب ما يكون من الدلائل على عظمة الله؛ لأن في الرؤى والأحلام اتصال بعالم الغيب وانفصال عن الشهادة، فيُعلم أن هناك من يعلم الغيب ويرسل للناس شيئًا من الغيب -سبحانه وتعالى- فحين يقع كما رأوا تكون آية عظيمة.

فهذه من مهمة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- مهمة عظيمة، يأتون لأجل إرشاد البشرية، ودلّهم على رب العالمين. فنحن أمام مهمة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-

وعرفنا أنها مهمة عظيمة وشريفة يجب أن يعرفها الناس ويفقهوها، ومن ثم ليحصل هذا الأمر يجب أن يعرفوا الأنبياء، ويجب أن يكون للإنسان صلة بالأنبياء.

ننظر في سورة مريم التي هي قبل طه والأنبياء، تجد (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ)، أنت مأمور بكثرة ذكر الأنبياء. تصور الأجور الحاصلة على ذكر الله وتصور الأجور الحاصلة على ذكر الأنبياء، واعتبر في ذلك الصلاة والسلام على رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم- كم لهذا من أجر. أيضًا ذكّرهم: كن في هذا الموقف مثل داوود -عليه السلام-، كن في هذا الموقف مثل سليمان، كن في هذا الموقف مثل أيوب، كن في هذا الموقف مثل إبراهيم، كن في هذا الموقف مثل موسى، وهكذا (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ). هذا يجعلنا نقول: سورة سميت الأنبياء وسور سميت بأسماء الأنبياء، وتأتي سورة مريم وغيرها من السور مثل ص أيضًا، تؤمر بأن تذكر حياة الأنبياء، كيف نتجاهل هذا كله ثم نطلب لحياتنا العافية، كيف وأنت مخلوق مفطور على الحاجة للقدوات وحب الكُمَّل منهم!

لذلك لما كانت حياتهم -عليهم الصلاة والسلام- هي حياة الكُمَّل من الناس الذين اختارهم الله -عزَّ وجلَّ- عن علم وحكمة واصطفاهم على البشر، كان لا بد أن نتعرف على حياتهم التي صُنِعَت على عين الله -تبارك وتعالى- كما في طه (وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي).

كل من أراد لنفسه النجاة في الدنيا والآخرة، أنت ومن تحت يدك، عليك أن تدرس هذه الحياة المباركة، خصوصًا في عصر الغربة والغرباء، من أجل أن تكون نبراسًا لحياتنا، ونجاة لأمتنا. لا بد من الاهتمام بهذا الموضوع، وهنا نؤكد هذا بعدة نقاط.

## أهمية دراسة حياة الأنبياء:

**الأمر الأول:** لأننا -كما تناقشنا- مأمورون من الله -عزَّ وجلَّ- بالاقتداء بهم والتأسي بهديهم، وكل مرة تفعل فعلًا تشبه فيه الأنبياء، أنت تطيع الله في نفس كونك شابهت النبي، فهذا طاعة لله -سبحانه- وعبادة له قبل كل شيء.

كلما تأملت في كتاب الله، كلما وجدت هذا غاية في الوضوح، قال تعالى: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ

اقْتَدِهْ)[1]. ليس الأمر كما تتصور، تسمعها قصص وتمُر، مثله قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[2].

**الأمر الثاني:** أن حياة الأنبياء حياة معصومة، خاصة فيما يتعلق بالعقيدة وما أمروا بتبليغه؛ لأن الله اجتباهم واصطفاهم عن علم وحكمة، كما يقول -عزَّ وجلَّ- (وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا)[3].

وقال -سبحانه وتعالى- عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كما في سورة ص، (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ). فحياة الأنبياء حياة تستحق أن تدرسها وتفهمها وتتعلمها. في حياتهم كثير من العظات والعبر للإنسان في شأنه الخاص وفي شأنه العام. لذا ونحن في هذا الوضع الذي نعيشه من كيد المنافقين، وحصول الضعف في الدين، وجب أن تكون قصص هؤلاء الأنبياء على اللسان معروفة مفهومة.

لذا **الأمر الثالث** في دراسة حياة الأنبياء: التعرف على سنن الله في التغيير وفي الدفع والمدافعة؛ لذلك سورة الأنبياء حين نقرؤها جيدًا نجد الصراع بين الحق والباطل، وكيف

---

[1] () الأنعام: 90.
[2] () الأحزاب: 21.
[3] () مريم: 58.

أنهم أتوا بالحجة والبيان، وحصلت منهم الهجرة، وحصل منهم الجهاد. هذا كله ما جاءت الأخبار عنه لتهمله، بل الله كلمك عن السنن التي يجريها الله.

في قصص الأنبياء واضحة، سمعت في كل الأنبياء عن سوء عاقبة المكذبين للرسل، وأن الله أهلكهم؛ هناك من أهلكهم في الدنيا وهناك من سيعاقبهم في الآخرة، ورأينا نصرة الله -سبحانه وتعالى- للمؤمنين، ورأينا كيف تتداول الأيام بين الناس من الشدة إلى الرخاء، ورأينا كيف تزول الأمم، الترف والفساد، إلى آخره. ونرى كيف أن البشر يتحملون مسؤولياتهم في الخير والشر، وأن الابتلاء للمؤمنين سنة جارية، وأن التدافع والصراع بين الحق والباطل سنة.

فعلينا أن نهتم بهذه الأخبار عن الأنبياء علّنا ننتظم في سلكهم، ونسير في قافلتهم المباركة، ولعل الله -عزَّ وجلَّ- أن يُلحِق من كانت هذه نيّته بركبهم الميمون، وأن يحشره في زمرتهم؛ لأن رب العالمين قال: (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ)[4].

---

[4]() النساء: 69.

نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يفيض علينا رضاه وجنته، وأن ينعم علينا باللحاق بهذه الصفوة المباركة باتباعنا لهم وحبنا لهم، والبذل في نشر سِيَرهم وجعلها على اللسان لتزاحم هذه القدوات التي دخلت علينا وابتُلينا بها. نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يبارك في أعمالنا وأعمارنا وأن يغفر لنا تقصيرنا.

نذكر أنفسنا أنَّ رَجُلًا مِن أهْلِ البَادِيَةِ أتَى النَّبيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قالَ: «ويْلَكَ! وما أعْدَدْتَ لَهَا؟» قالَ: ما أعْدَدْتُ لَهَا إلَّا أنِّي أُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ، قالَ: «إنَّكَ مع مَن أحْبَبْتَ»[5]. قال أنس: أنا أحب النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل أعمالهم.

تصور إلى أي درجة الموضوع مهم! نحن أكيد أن أعمالنا وأحوالنا قصرت عن هؤلاء كثيرًا، أين نحن وأين هؤلاء الكُمَّل! لكن تصور حين يكون حبك لهم الذي يدل على اهتمامك بهم وقراءة أخبارهم وفهمها وتحليلها ونشرها، وبقاء ذكرهم، تصور أن هذا يلحقك بهم، سبحان الله. من نكون نحن بأعمالنا؟! لكن الله فتح لنا هذا الباب برحمته.

---

[5]() أخرجه مسلم (2639).

في سورة الأنبياء وهي من السور التي ابتدأت ببداية تهز السامع، قال تعالى: (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ) وهنا يتبين موضوع الغفلة، وهذه **أول مهمة من مهمات أنبياء الله تعالى: إزالة الغفلة**. تصور في الثلاث آيات الأولى كم كلمة تدل على الغفلة (فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ)، في الآية الثانية (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) والثالثة (لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ)، في ثلاث آيات ثلاث كلمات تدل على غفلة الناس، مهما جاءهم ذكر وتذكير من رب العالمين. يحدث الله لهم تذكيرًا فيحدثون هم أمام هذا التذكير إهمالًا، ويحدثون أمام هذا التذكير استهزاءً، وتكون النتيجة: أن يدخلوا في الغفلة.

سورة الأنبياء بيّنت دور الأنبياء، الذين هم أفضل خلق الله، في إزالة الغفلة؛ لأن الغفلة إذا تمكنت من الإنسان سببت الضلال له.

أول مهمة من مهمات أنبياء الله هي: إزالة الغفلة لأنها سبب ضلال الناس في كل زمان ومكان، ولأنها سبب ضياع الرسالات السابقة. الحقيقة أن الغفلة مرض خطير يصيب

الأفراد والجماعات فيبعدها عن طريق الله. فيأتي ذكر الأنبياء، بالنسبة لنا في واقعنا، تنبيهًا على هذا الأمر، وبعد ذلك الناس ينقسمون: إما عباد أتقياء، وإما يكونون عصاة فجار، والعياذ بالله.

يوجد نوع بين الأتقياء والفجار وهو: الغافل اللاهي، البعيد عن طاعة الله، لو تنبه انتبه، فكان دور الأنبياء الإشارة إلى هذا؛ لأن الناس في غفلة معرضون وهم يلعبون، لاهية قلوبهم.

حين نقرأ سورة الأنبياء -وعلينا أن نعتني بقراءتها- سيأتي هذا الأمر: بمن تقتدي؟ من امتلأ فؤادك بمعرفة تفاصيل حياته؟ هل أنت متقوقع على نفسك، لا تفكر إلا في نفسك وفي تفاصيل حياتك؟ أو أنك مشتغل بالناس القريبين وتفاصيل حياتهم وتتدخل فيها؟ أو أنت مشغول بهؤلاء الذين لاحوا في الأفق أمامك، وأصبحوا هم المشهورين، الذين يتتابع الناس لمعرفة أخبارهم؟

اشغل هذه الحاجة التي في نفسك للقدوات ولمن تشتغل بأخبارهم، اشغلها بمعرفة أخبار الأنبياء والمرسلين بصورة تفصيلية.

لذا نجد سورة الأنبياء تركز على ناحيتين مضيئتين من حياة كل نبي، وحياة الأنبياء كلها مضيئة:

1. طاعة النبي وعبادته وخشيته لله.
2. ومن الجهة الأخرى دعوته وإصلاحه لقومه.

وكأنه يقال لنا: هؤلاء هم مثلكم الأعلى في حسن التعامل مع الله وفي حسن التعامل مع الناس، في العبادة والدعوة. هذا يجعلنا نفكر في جوانب الاقتداء بالأنبياء، وسنركز هنا على ثلاثة جوانب عظيمة في حياة الأنبياء تظهر في هذه السورة خاصة:

1. أن **من هديهم -عليهم الصلاة والسلام-: قوة العلم بالله**، ونرى في السورة من أثر ذلك في صدق الإيمان، وكمال التوكل على الله، وقوة العبادة.
2. وأيضًا نرى لهم: **هدي في الأخلاق والسلوك**.
3. ونرى لهم: **هدي في الدعوة والتبليغ**.

نبدأ **بهديهم في قوة العلم بالله** وأثر ذلك في صدق الإيمان وكمال التوكل، ونحن مستصحبين ما ناقشناه في اللقاء الماضي في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى).

أعلم الناس بالله -سبحانه وتعالى- هم أنبياؤه ورسله -عليهم الصلاة والسلام- وهذا العلم به وأسمائه وصفاته العلا هو الذي أوجد هذه الخشية العظيمة والإيمان الصادق والتوحيد الكامل؛ لأنه كلما كان العبد أعلم وأعرف بربه -سبحانه وتعالى- كان أشد خوفًا وتعظيمًا وعبادة ومحبة وإخلاصًا لله. وهذا أمر نجده واضحًا جدًا عند الأنبياء.

نشير إلى شيء من هذا، ونأخذ من سورة الأنبياء ومن السور التي سبقتها؛ سورة يوسف، وسورة مريم، وهكذا، في السياقات.

مثلًا في سورة مريم، يقول إبراهيم -عليه السلام- في دعوته لأبيه: (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا). يقول يعقوب -عليه السلام- لأبنائه في نهاية القصة وفي وقت عودة يوسف -عليه السلام-

ووجده: (أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) لذلك كان حُسْن توكله وثقته بربه.

نجد في سورة الكهف، أن موسى -عليه الصلاة والسلام- مع ما آتاه الله من العلم لم يكتفِ بذلك إنما طلب المزيد، وسافر وذهب إلى الخضر، وقال موسى للخضر: (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) وهنا إشارة إلى أن الخضر يعرف علمًا عن الله ما عرفه موسى -عليه السلام- .

ولننظر لسورة الأنبياء، والسورة أتت بأخبار عشرة من الأنبياء، وكان هناك سرد لقصة إبراهيم -عليه السلام- خاصة. فنجد إبراهيم -عليه السلام- كيف تتجلى معرفته بالله في السورة، يقول لقومه: (مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) فأجابوه بهذه الإجابات المعروفة: (وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ)، إبراهيم -عليه السلام- والله قد أخبر في هذه السورة أنه آتاه رشده، بيّن لهم أنهم في ضلال مبين، وبيّن من هو رب العالمين، قال: (رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ). تصور قوة الإيمان، هذا الذي في السياق سيقال عنه: (فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ

إِبْرَاهِيمُ)، هذا الفتى الله أعطاه رشده، ومن علامات هذا الرشد: معرفة رب العالمين.

أول جانب نهتم به من جوانب الاقتداء بالأنبياء: أن ننظر كيف كان **كلامهم عن رب العالمين:** (رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ) انظر لهذا التعبير، اسم الفاطر، فطرهن، أوجدهن على غير مثال سابق، ولا مادة سابقة، إنما أنشأ مادتها، وأنشأ صورتها، ثم يقول: (وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ) لاحظ هذا الأمر؛ كيف تغلغل الإيمان في فؤاده وثبت، وتصور كيف انفعل مع هذا الإيمان، نرى دعوته، وكيف أنه في القصة كسر الأصنام وأعادهم بهذا الموقف إلى فطرتهم. قالوا: (أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا) فكّروا في الحقيقة، اصطدِموا بالحقيقة. هنا ترى كيف أن إبراهيم -عليه السلام- يعرف ربه ويريد أن يبيّن لهم ما كانوا عنه غافلين بسبب تقليدهم، وهم في تلك اللحظة رجعوا لأنفسهم وقالوا لأنفسهم: (إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ) لكن بعد ذلك (نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ)، بعدما استفاقت الفطرة عادوا مرة أخرى، وهذا عناد وبطر وكبر.

فيقول لهم: (أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ) تصور معرفته العظيمة بالله -عزَّ وجلَّ- كيف يقول لهم: (أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ) تصور كيف يحقق هذا طرفي التوحيد؛ الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. كم تحتاج هذه القصة إلى تأمل! وكيف أرانا الله -عزَّ وجلَّ- أنه ينصر أولياءه، فجعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم وكيف نجاه ربنا، وكيف وهب له ربنا، إلى آخر ما هو معلوم، لكن هذا المعلوم يجب أن يعاد ويزاد ويفهم.

فأول شيء نفهمه عن الأنبياء: توحيدهم وتعظيمهم لشأن رب العالمين. يخبر رب العالمين عن لوط أنه آتاه حُكمًا وعلمًا، وأنه -سبحانه وتعالى- نجاه من القرية التي كانت تعمل الخبائث، وكيف أدخله الله في رحمته -سبحانه وتعالى-

ثم نلحظ أيضًا في السورة -ولا زال هذا تحت معرفتهم لرب العالمين-، يصف رب العالمين دعاء الأنبياء وكيف استجاب لهم، من نوح -عليه السلام- (وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ) إلى أيوب (إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ) إلى يونس ذي النون الذي دعا ربه وهو في بطن الحوت (فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ)، إلى زكريا

(رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا)، كل هذا يكلمنا رب العالمين عن مناجاتهم لربهم المبنية على معرفتهم لربهم -سبحانه وتعالى-

في مقابل ذلك نرى كيف كان يعقب هذه النداءات على الفور كلمة واحدة مشتركة بين كل الأنبياء: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) انظر إلى حرف الفاء الذي يفيد التعقيب السريع، وسرعة استجابة الله للدعاء. هذا الجانب لو تأملناه سنجد أمورًا عظيمة في حال الأنبياء. نجد شدة تعظيمهم لله -عزَّ وجلَّ- وخوفهم منه.

هم اصطفاهم رب العالمين، ومعلوم أن من اصطفاهم رب العالمين يحبهم، لكن هذه الميزة من اصطفاء ومحبة الله لم تزدهم لربهم إلا تعظيمًا ومحبةً وخوفًا منه وخشية، فهذا شأن الأنبياء.

ونتذكر سويًّا أن هذه المعرفة تجعل الإنسان يلتزم ويقبل ويرضى بكل ما قسم الله، وبكل ما شرع الله.

في سورة هود -التي تركناها سابقًا- لما نادى نوح فقال: (رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) رب العالمين أجابه إجابة واضحة (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ

أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) ثم توجه الخطاب إلى نوح -عليه السلام- (فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)، مباشرة: (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ) انظر لهذه المعرفة كيف أثمرت هذا الأدب العظيم مع رب العالمين! وهو يدعو بشأن ابنه هذا الهالك مع الكافرين، يختم دعاءه ويقول: (وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) ما قال "وأنت أرحم الراحمين"، هذا من كمال علمه البالغ -عليه الصلاة والسلام- بأسماء الله، عرف أنه هنا أحكم الحاكمين؛ لأن حكمة الله اقتضت أن يكون ابن نوح من الهالكين، ولم يكن من الناجين؛ لذلك ختم دعاءه فقال: (وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ).

وتُظهر هذه المحادثة بين نوح -عليه السلام- وبين رب العالمين **خوف** نوح -عليه السلام- من ربه؛ لذلك قال: (إِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ)، الله أكبر! هذا نوح -عليه السلام- الذي أمضى مئات السنين في دعوة قومه، وصبر وصابر وناله من الأذى والاستهزاء الشيء العظيم، ومع ذلك يختم دعوته بطلب المغفرة، كما في نهاية سورة

نوح قال: (رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا).

حين تسمع أن هؤلاء الذين بذلوا أعمارهم واصطفاهم رب العالمين، هذه مطالبهم، يستغفرون ويخافون، ماذا نقول نحن؟ سبحانك! قد ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين!

معرفة الأنبياء، وهذه هي أهم مسألة، ومعرفة قوة علمهم بالله، وكلما تأملنا سنجد قوة علمهم بالله.

حتى أنك في سورة الشعراء تقرأ تعريف إمام الخلفاء وخليل الرحمن برب العالمين، تتعجب. معرفتهم بأسماء الله تسبب لهم صحة التعامل مع الله، وتسبب لهم أيضًا أمرًا آخر: كثرة ذكرهم لله وشدة تضرعهم ودعائهم له، مع قوة العبادة، واتضح هذا لما رأينا كيف يدعون الله ويطلبون الله كما في سورة الأنبياء، ففي هذا عبرة، وفي هذا لفت للنظر.

انظر في موطن أيوب -عليه السلام- في هذه السورة: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)، معرفتهم بالله سببت لهم التوسل بأسماء الله،

معرفتهم بالله جعلتهم عابدين حقًا لله، كما في سورة مريم (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) خضعوا لهذه الآيات، وأثرت في قلوبهم.

هذه المعرفة تسبب معرفتك أنهم يعرفون الله حق المعرفة، تبين لك هذه الآثار؛ تبين لك تضرعهم وسؤالهم الله لقضاء حوائجهم، تبين لك خشوعهم وبكاءهم عند ذكر ربهم، تبين لك قوة طاعتهم، كما في ص، قال تعالى: (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ)، أعطوا قوة في العبادة وبصرًا في الدين. وكلما قرأنا وجدنا من عبادة الأنبياء والرسل ما يدل على معرفتهم بالله.

نحن بهذا نكون فهمنا أننا نحتاج -ونحن نتعلم عن الرسل- هذه المسائل الثلاثة:

1. معرفة حال الرسل مع أسماء الله -عزَّ وجلَّ- وصفاته (قوة علمهم بالله).
2. وهديهم في الأخلاق والسلوك.

3. وهديهم في الدعوة والتبليغ.

فكان أهم ما اهتممنا به هو مسألة علمهم برب العالمين وكيف أثر عليهم وأثر على سلوكهم، وأخلاقهم كانت واضحة ظاهرة، وتبليغهم كان تامًا كما يُعلَم عنهم. فكان بهذا الأمر أن ترى أن رب العالمين قد جعل للمؤمنين نماذجًا في كل تفاصيل حياتهم، ولا بد أن يمر كل امرئ بشيء مما مر به الأنبياء، فإن كان في سعة من شأنه كان يشبه داوود وسليمان، وإن كان في ضيق وضُرّ كان يشبه أيوب، وإن كان في نزاع مع أهله وخاصته في شأن دينه، فهو يشبه إبراهيم عليه السلام، وإن تسلط عليه أحد فنازعه الحق، فهو يشبه موسى -عليه السلام- وإن وجد من يستهزئ به، ويستهزئ بدينه ودعوته، فهو يشبه الأنبياء، ويشبه نوح -عليه السلام- خاصة.

فهذه حياة الإنسان، وهذه الأحوال التي يمكن أن يمر بها، وهذه القدوات حولك تبني لك دارًا، تتجول فيها وتأخذ منها ما ينفعك، وفي الحديث قال رسول الله: «إِنَّ مَثَلِي ومَثَلَ الأَنْبِياءِ مِن قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فأحْسَنَهُ وأَجْمَلَهُ، إلَّا

مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِن زاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ به، ويَعْجَبُونَ له، ويقولونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذِه اللَّبِنَةُ؟» فيقول النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- بعد ذلك: «فأنا اللَّبِنَةُ، وأنا خاتِمُ النَّبيِّينَ»[6] فتجد في سيرة المصطفى -صلَّى الله عليه وسلَّم- ما يزيد هذه المعاني كلها بيانًا.

لذلك نجد في السورة أن كل نبي بُعث إلى قومه خاصة، أما عند ذكر نبينا محمد -صلَّى الله عليه وسلَّم- قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) يعني للناس كافة. يتوجب علينا -وهو قد أرسل رحمة للعالمين- أن نجعل سيرته العطرة تعطِّر مجالسنا، نتحدث عن إيمانه، عن أخلاقه -صلَّى الله عليه وسلَّم- نتحدّث عن بذله ودعوته، والله لو تعطّرت المجالس بذلك؛ لأنشغل الناس عن كثير من الباطل.

نعود إلى ختام السورة، ورأينا أنها بدأت بمرض عظيم خطير، مرض الغفلة، كان ختام السورة يهز القلب من هذه الغفلة، كأنه يقول: "إن لم تقتدوا بهؤلاء الأنبياء، فاعلموا أن المردّ إلى الله في يوم شديد وصعب" (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ) هول ذاك اليوم، تصور السماء وصوتها

---

[6]() أخرجه مسلم (2286).

وهي تنطوي (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ).

فمن سار على خطى الأنبياء فهو العزيز في الدنيا والفائز في الآخرة، لذلك تقرأ بعد هذه الآيات الشديدة في وصف القيامة قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)، وكأن هذه الآيات تقول لأتباع الأنبياء: "اقتدوا بأنبياء الله لترثوا الأرض وتستخلفوا فيها وأنتم بعزة"، والآية التي تليها توضح أكثر (إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ)، كأن هذه الآية تحدد لنا وجه الاقتداء؛ اعبد الله وسِر على الطريق كعبادة الأنبياء، لتنال شرف وراثة الأنبياء، الاستخلاف في الأرض.

سورة ما أعظمها! على أمة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- العناية بها، وعلى هذه الأمة، كما أن عليها الاقتداء بأنبياء الله جميعًا، فالاقتداء بإمامهم محمد -صلَّى الله عليه وسلَّم- في عبادتهم وتبَتّلهم لربهم، وفي غيرتهم على دين الله، وفي عملهم الدائم على نشره وتبليغه وإصلاح أنفسهم وإصلاح من حولهم، مسؤولية كبيرة علينا أن نكون على قدرها،

فنكون من عباد الله الصالحين ونرث الأرض وفقًا لمنهج الله -عزَّ وجلَّ- (الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)، والحمد لله رب العالمين.